المحاضرة 11: معيار السّلطة:

أ- تعريف السّلطة:

تعرّف السلطة من المنظور اللّغوي أنّها "القدرة والقوّة على الشّيء، والسّلطان الذي يكون للإنسان وغيره...، وجمعها سلطات، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارسها كالسلطة السياسية والقضائية...".[1]

فهي تعبّر عن بنى تراتبية في المجتمع، تستلزم آمرا ومأمورا، فتصبح مفهوما مجازيا إذا تعلّق الأمر بالتفاعل بين المرسل والمرسل إليه.

أمّا في الاصطلاح فهي: القدرة على التّأثير في الأشخاص ومجريات الأحداث باللّجوء إلى مجموعة من الوسائل تتراوح بين الإقناع والإكراه".[2]

1-سلطة اللّغة:

إنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي التّواصل وفق ما تواضع عليه أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، وهي الوسيلة التي يستعملها المرسّل للتّبليغ، فهي الأداة الرّئيسة في إنجاز العديد من الأفعال الكلامية وتأويل العلامات السيميائية الأخرى، وهذا المنطلق فإنّ المرسل ينصاع في خطابه إلى أنظمتها الصّوتية والتّركيبية والدّلالية والمعجمعية، ومن هنا تظهر سلطة اللّغة على المرسل، فهي " سلطة تشريعية اللّسان قانونها، ونحن مرغمون دوما على الاختيار بين صيغة التّذكير والتّأنيث وليس بإمكاننا على الإطلاق أن نحيد عنهما، ثم تحديد العلاقة بالآخر، إما باستعمال ضمير المخاطب بصيغة المفرد أو الجمع، فإنّ اللغة بطبيعة بنيتها

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 670.

[2] جورج بلانرييه، الأنثروبولوجيا السياسية، تر: علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص 37.

تنطوي على علاقة استلاب قاهرة، ليس النطق أو الخطاب بالأحرى تبليغا كما يقال عادة، إنه إخضاع".[3]

فاللغة هي مجموعة من الأصوات والتراكيب والمفردات التي تفرض على المرسل الاحتكام إليها في صياغة خطابه، فتصبح أنظمتها قيودا تقيّده، "ولا يمكن خرق هذا الأنظمة إلا في الحدود التي تسمح بها... وشرط ذلك أن يظلّ الخطاب مفهوما من لدن المرسل إليه، وإذا لم يكن كذلك، فإنه يخرج من أنظمة اللغّة المتعارف عليها".[4]

ومن هنا تظهر قدرتها على التّأثير في المتلقي وتغيير قيمه وقناعاته.

2-سلطة المرسل:

لئن كانت اللّغة هي الأداة التي يتواصل بها الإنسان، ويحتكم إلى قواعدها وأنظمتها التي تفرضها عليه، فإنّ سلطة المرسل تظهر في قدرته على اختيار عبارات لغوية دون أخرى، وفي التقديم والتّأخير بينها، واستعمال أسلوب دون آخر، وإنّ تمكنّه من اللّغة وقواعدها ينيح له فرصة التّلاعب بمفرداتها بين المعنى الضّمني والمعنى المباشر في خطابه، "فالقدرة على الإذعان لقواعد اللّغة وقيودها أو خرقها أو التلاعب بها، هو كفاءة تواصلية، وعندما يستعمل المرسل الكفاءة التواصلية ليؤثّر في سلوك الآخرين، فإنّنا نتحدّث عن تأثيرات تنمّ عن دهاء، ويحقّق هذه التّأثيرات عن طريق استغلال القواعد والاستثناءات والاختيار من المواد المخزونة، وبذلك فإنّه يشير في خطابه إلى معنى اجتماعي".[5]

وتظهر سلطة المرسل في المجتمع من خلال الرتبة والوظيفة التي يتمتع بها، وكذلك العلاقات في الأسرة مثل الأب، الجد...، فقد يملك المرسل السلطة قبل التلفظ بالخطاب أو يكتسبها فور التلفظ به.

---

[3] رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار التوبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 1993، ص 12.

[4] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 225.

[5] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 226.

3-سلطة المرسل إليه:

يعدّ المرسل إليه عنصرا من العناصر السياقية التي تؤثّر في المرسل وتفرض عليه اختيار استراتيجية دون أخرى، وهو الطّرف الثاني للعملية التخطابية، وينتج المرسل خطابه من أجله، ومن هنا فإنّ سلطته على المرسل تظهر من خلال مميزاته وخصائصه ووظيفته، وعندما يكون في رتبة أعلى من المرسل، ممّا يفرض عليه استعمال عبارات لغوية مؤدّبة وألفاظ الرّجاء والتودّد، "فلا يكلّم سيّد الأمّة بكلام العامة، ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في قواه فضل التّصرّف في كلّ طبقة".[6]

إذ ينبغي للمتكلّم انتقاء ألفاظه ومناسبة أحوال المخاطبين، وثقافاتهم وطبقاتهم.

4-سلطة المجتمع:

إنّ المتخاطبين لا يتواجدون بمعزل عن المجتمع، وإنّما يتفاعلون ويتواصلون ضمن أطره العامّة، تحكمهم اعتقاداته وتوجهاته وثقافاته وديانته، فللمجتمع سلطة على أفراده يفرض عليهم الانصياع لها، وتقيّد استعمالاتهم للعبارات اللّغوية المسموحة والممنوعة، فلا يمكنّ للمرسل قول أي شيء وفي أيّ مكان يريد، أو التّحدّث في أي موضوع يرفضه المجتمع بعاداته وتقاليده، فهو إحدى الأطر التي تقيّد حرية المرسل وتوجّهه في إنتاج حطابه واختيار استراتيجيته.

ب-السلطة في الخطاب:

[6] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 92.

إنّ السّلطة في الخطاب هي نتيجة للسّلطة التي يتمتّع بها المرسل، فعدم حيازته عليها يؤدّي إلى فشل خطابه، "لأنّ معظم الشّروط التي ينبغي أن تتوفّر كي يعمل الإنجاز الكلامي عمله تنحصر في مدى التلاؤم بين المتكلّم أو وظيفته الاجتماعية وبين ما يصدر عنه من خطاب، إنّ أيّ أداء للكلام سيكون عرضة للفشل إذا لم يكن صادرا عن شخص يملك سلطة الكلام، وإذا لم يتوفّر المخاطب على السلطة التي تخوّله للتفوّه بالكلمات التي ينطق بها".[7]

ويظهر هذا خاصّة في المجالس والحوارات التي يكون فيها المرسل أقلّ درجة من المرسل إليه، وفي إبداء رأيه في مسألة معيّنة، فامتلاكه للسلطة يمكّنه من نجاح خطابه وأفعاله الكلامية، فسلطة الطبيب على المريض مثلا تمكنه من استعمال أفعال كلامية لا يستطيع المريض استعمالها، والقاضي في المحكمة يؤدّي خطابا لا يمكن لغيره أداءه، وبهذا كانت السلطة معيارا في تصنيف الأفعال اللغوية الإنجازية، "إذ نتج عنها عند (أوستين) صنف الأفعال الإنجازية التي تتعلّق بممارسة السلطة، القانون والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها".[8]

ومنه فإن السلطة في الخطابات تظهر من خلال الأدوات اللّغوية التي يمكن أن تعبّر عنها وتوجّه المرسل إليه.

ج- السلطة بالخطاب:

تظهر سلطة المرسل في الخطاب إذا كان يملكها قبل التّلفظ بالخطاب، أمّا سلطته بالخطاب إذا كان يسعى لامتلاكها عن طريق التلفظ به، وتحدّد هذه السلطة عن طريق مجموعة من الآليات[9] هي:

- تغييب المرجع: مثل قول: خبر عاجل

---

[7] بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1990، ص 65.

[8] أوستين، نظرية الأفعال الكلامية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991، ص 174

[9] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 247.

ويكثر استعمال هذا الخطاب في وسائل الإعلام، فقد يستعمل المرسل هذا الخطاب على أن (خبر) مبتدأ وهو نكرة، وهو دليل على غياب مرجعه، وزاد في تغييبه عندما وصفه ب (العجلة)، وعليه فإنّ المرسل يجعل المرسل إليه متشوّقا إل معرفة هذا الخبر، فقد استثمر هذا الخطاب ليمارس سلطة عليه.

- حذف المرج أو إرجاؤه: مثل: ارتقبوا، انتظروا

ويستعمل هذا الخطاب خاصة في الإعلانات التجارية، فينتظر لمرسل إليه ما سيتلفظ به المرسل وهو ما يعبّر عن امتداد سلطته عليه.

ومن كلّ ما سبق نستنتج أنّ السلطة تحكم العلاقة بين طرفي التّخاطب، خاصة في السلّم التراتبي داخل المجتمع، وتؤثّر في اختبار استراتيجية تخاطبية دون أخرى، لما يفرضه طرفي التفاعل، كما تظهر معالمها في شكل الخطاب واختيار الآليات اللغوية والأدوات والأفعال الكلامية، وتتجسّد خاصّة في تحقيق الهدف من الخطاب، فمعرفة السلطة وزمن الإذعان لها أو التنازل عنها هو مي يحكم نجاح التواصل بالخطاب أو فشله.